قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَعِرْفَانِ

قيل إنه أنشد هذه القصيدة في طريقه إلى قيصر وكان قد أصابه مرض:

[من الطويل]

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَعِرْفَانِ
وَرَسْمٍ عَفَتْ آيَاتُهُ مُنْذُ أَزْمَانِ[1]
أَتَتْ حِجَجٌ بَعْدِي عَلَيْهَا فَأَصْبَحَتْ
كَخَطِّ زَبُورٍ فِي مَصَاحِفِ رُهْبَانِ[2]
ذَكَرْتُ بِهَا الْحَيَّ الْجَمِيْعَ فَهَيَّجَتْ
عَقَابِيْلَ سُقْمٍ مِنْ ضَمِيْرٍ وَأَشْجَانِ[3]

(١) عرفان: موضع.
ورد البيت في: مغني اللبيب لابن هشام وشرح شواهده، للسيوطي: ٣٣٥ (٢٥٤)، شرح شواهد شروح الألفية، للعيني ٣/ ٣١٩، التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد ٢/ ١٧، همع الهوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطي ١/ ٢١٧، الدور اللوامع ١/ ١٨٦، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ٢/ ٢٢٩، حاشية الدمنهوري على متن الكافي: ٤١، ٧٤، رسالة الغفران، للمعرّي: ١٠٢.

(٢) الحجج: واحدة حِجَّة، بكسر الحاء: السنون.
الزبور: الكتاب.
يقصد امرؤ القيس من هذا التشبيه أن معالمها ضاعت وامحّت لمرور الزمن عليها.

(٣) «العقابيل: بقايا العلّة والقداوة والعِشْق، وقيل: هو الذي يخرج على الشفتين غِبَّ الحُمَّى، الواحدة منهما جميعاً عُقْبُولة وعُقْبُول، والجمع العَقَابيل». انظر: لسان العرب ١١/ ٤٦٦ مادة «عقبل».

فَسَحَّتْ دُمُوعي في ٱلرِّدَاءِ كَأَنَّهَا
كُلَى مِنْ شَعِيْبٍ ذَاتُ سَحٍّ وَتَهْتَانِ[١]

إِذَا ٱلْمَرْءُ لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ
فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ بِخَزَّانِ[٢]

فَإِمَّا تَرَيْنِي فِي رِحَالَةِ جَابِرٍ
عَلَى حَرَجٍ كَٱلْقَرِّ تَخْفِقُ أَكْفَانِي[٣]

---

(١) سحَّت: انهمرت.
الكُلى، وحدة كُلْية: الرقعة تكون في المزادة.
الشعيب: السقاء البالي.
ورد البيت في: الخصائص، لابن جني ٢/ ٨٣.

(٢) يخزن: يحفظ.
ورد البيت في: معاهد التنصيص، للعباسي ٢/ ٩٨.

(٣) ورد البيت في لسان العرب ١١/ ٢٧٩ مادة «رحل».
«وأما قول امرئ القيس:
فَإِمَّا تَرَيْنِي في رِحالةِ جابرٍ، على حَرَجٍ، كالقَرِّ تخفِقُ أَكْفَاني
فيقال: إنّما أراد به الحَرَجَ وليس ثَمَّ رِحَالة في الحقيقة». وأورد لسان العرب ٢/ ٢٣٥ مادة «حرج» البيت أيضاً.
«والحَرَج: سرير يحمل عليه المريض أو الميت، وقيل: هو خشب يُشدُّ بعضه إلى بعض؛ قال امرؤ القيس: . . .
ابن بري: أراد بالرِّحالة الخشب الذي يحمل عليه في مرضه، وأراد بالأكفان ثيابه التي عليه لأنه تقدّر أنها ثيابه التي يدفن فيها. وخفْقُها ضرب الريح لها. وأراد بجابر جابر بن حُيٍّ التغلبي، وكان معه في بلاد الروم، فلمّا اشتدّت علته صنع له من الخشب كالقرّ يحمل فيه؛ والقَرُّ: مركب من مراكب الرجال بين الرحل والسرج».
وأورد لسان العرب ٥/ ٨٨ مادة «قرر». البيت أيضاً.
وأورد لسان العرب ١٣/ ٣٥٨ مادة «كفن» عجز البيت أيضاً.

فَـــيَـــا رُبَّ مَـــكْـــرُوبٍ كَـــرَرْتُ وَرَاءَهُ
وَعَـانٍ فَـكَـكْـتُ ٱلْـغُـلَّ عَـنْـهُ فَـفَـدَّانِـي[١]

وَفِـتْـيَـانِ صِـدْقٍ قَـدْ بَـعَـثْـتُ بِـسُـحْـرَةٍ
فَـقَـامُـوا جَـمِـيْـعـاً بَـيْـنَ عَـاثٍ وَنَـشْـوَانِ[٢]

وَخَـرْقٍ بَـعِـيْـدٍ قَـدْ قَـطَـعْـتُ نِـيَـاطَـهُ
عَـلَـى ذَاتِ لَـوْثٍ سَـهْـوَةِ ٱلـمَـشْـيِ مِـذْعَـانِ[٣]

وَغَـيْـثٍ كَـأَلْـوَانِ ٱلـفَـنَـا قَـدْ هَـبَـطْـتُـهُ
تَـعَـاوَرَ فِـيْـهِ كُـلُّ أَوْطَـفَ حَـنَّـانِ[٤]

---

(١) العاني: الأسير.

(٢) والسَّحْر والسحَر: آخر الليل قُبيْل الصبح، والجمع أسحار والسُّحْرة: السحَر، وقيل: أعلى السحَر، وقيل: «هو من ثلث الليل الآخر إلى طلوع الفجر». انظر: لسان العرب ٤/ ٣٥٠ مادة «سحر».
العاتي: الأعمى.

(٣) الخَرْق: الأرض البعيدة، مستوية كانت أو غير مستوية...
والخَرْق: الفلاة الواسعة، سميت بذلك لانخراق الريح فيها، والجمع خُروق. انظر: لسان العرب ١٠/ ٧٤ مادة «خرق».
«ونياط المفازة: بعد طريقها كأنها نيطت بمفازة أخرى لا تنقطع تنقطع، وإنما قيل لبُعد الفلاة نياط لأنها منوطة بقلاة أخرى تتصل بها». انظر: لسان العرب ٧/ ٤١٩ مادة «نوط».
اللوث: القوّة.
السهوة: سهلة القياد.
مذعان: سهلة القياد.

(٤) الغيث: الكلأ الناتج من الغيث.
«الفنا: عنب الذئب. والثعلب. وقيل: شجرته وهي سريعة النبات والنمو». انظر: لسان العرب ١٥/ ١٦٦ مادة «فني». =

عَـلَـى هَـيْـكَـلٍ يُـعْـطِـيْـكَ قَـبْـلَ سُـؤَالِـهِ
أَفَـانِـيْـنَ جَـرْيٍ غَـيْـرِ كَـزٍّ وَلَا وَانِ(١)
كَـتَـيْـسِ ٱلـظِّـبَـاءِ ٱلأَعْـفَـرِ ٱنْـضَـرَجَـتْ لَـهُ
عُـقَـابٌ تَـدَلَّـتْ مِـنْ شَـمَـارِيـخِ ثَـهْـلانِ(٢)
وَخَـرْقٍ كَـجَـوْفِ ٱلـعَـيْـرِ قَـفْـرٍ مَـضَـلَّـةٍ
قَـطَـعْـتُ بِـسَـامٍ سَـاهِـمِ ٱلـوَجْـهِ حُـسَّـانِ(٣)

= تعاور: تداول.
الأوطف: السحاب القريب من الأرض.
الجنّان: الذي يصاحبه صوت الرعد.
(١) الكزّ: الذي لا ينبسط... وجمل كَزٌّ: صلب شديد.
«الونا الضعف والفتور والكلال والإعياء؛ قال امرؤ القيس:
مَسحٌ إذا ما السابحاتُ، على الونى، أَثَرْن غُباراً بالكديد المُركَّلِ»
انظر: لسان العرب ١٥/ ٤١٥ مادة «ونى».
(٢) ورد عجز البيت في لسان العرب ١١/ ٩٤ مادة «ثهل».
«الثهَل»: الانبساط على الأرض. وثَهْلان: جبل معروف؛ قال امرؤ القيس:
عُـقَـابٌ تَـدَلَّـتْ مـن شـمـارِيـخِ ثَـهْـلانِ
انضرجت: انقضَّت.
شماريخ، مفرده شمراخ: أعالي، رؤوس.
ورد البيت في: المنصف لابن جني ٣/ ١٢.
(٣) ورد البيت في ٤/ ٦٢٦ مادة «عير».
«والعَيْر: اسم رجل كان له وادٍ مُخْصِب، وقيل: هو اسم موضع خَصيب غيَّره الدهر فَأَقْفَر، فكانت العرب تستوحشه وتضرب به المثل في البلد الوَحْش، وقيل: هو اسم وادٍ؛ قال امرؤ القيس: ووادٍ، كَجَوْفِ العَيْر، قَفْر مَضِلَّة.
قَـطَـعْـتُ بِـسَـامٍ سَـاهِـمِ الـوجـه حَـسَّـانِ
قال الأزهري: قوله: كجَوْف العَير، أي كوادي العَيْر، وكلّ وادٍ عند العرب: جوف». =

يُـدَافِـعُ أَعْـطَـافَ ٱلـمَـطَـايَـا بِـرُكْـنِـهِ
كَـمَـا مَـالَ غُـصْـنٌ نَـاعِـمٌ فَـوْقَ أَغْـصَـانِ(١)

وَمَـجْـرٍ كَـغُـلَّانِ ٱلأُنَـيْـعِـمِ بَـالِـغٍ
دِيَـارَ ٱلـعَـدُوِّ ذِي زُهَـاءٍ وَأَرْكَـانِ(٢)

مَـطَـوْتُ بِـهِـمْ حَـتَّـى تَـكِـلَّ مَـطِـيُّـهُـمْ
وَحَـتَّـى ٱلـجِـيَـادُ مـا يُـقَـدْنَ بِـأَرْسَـانِ(٣)

= السام: الفرس المرتفع.
الساهم: القليل لحم الوجه.

(١) أعطاف: جوانب.
مركنه: منكبه.
ومن طبيعة العرب في حال عودتهم من غزو سالمين أن ينزلوا عن خيولهم ويركبوا جمالهم ليوفروا قوّة خيولهم للقيام بعمل جديد.

(٢) المجْر: الجيش الجرار الكثير العدد والعُدد، مما يجعله ويئد الحركة لما فيه من رجال وعتاد.
غُلان، واحده غال: الأودية.
الأنيعم: موضع.
زُهاء: كثرة.

(٣) ورد البيت في لسان العرب ١٥/ ٢٨٤ مادة «مطا».
«المَطْوُ: الجِدّ والنجاء في السير، وقد مَطا مَطْواً؛ وقال امرؤ القيس:
مَطَوْتُ بهم حتَّى يَكِلَّ غَرِيُّهُمْ، وحتَّى الجِيادُ ما يُقَدْنَ بِأَرْسَانِ»
ورد البيت في: كتاب سيبويه وشرح شواهده، للأعلام ١/ ٤١٧، ٢/ ٢٠٣، المقتضب، للمبرّد ٢/ ٤٠، الجمل، للزجاجي:) ٧٨، شرح المفصل، لابن يعيش الحلبي ٥/ ٧٩، ٨/ ١٥، ١٩، مغني اللبيب لابن هشام وشرح شواهده، للسيوطي ١٢٧، ١٣ (١٢٩)، التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد ٢/ ٣٠٩، همع الهوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطي ٢/ ١٣٦، الدرر اللوامع ٢/ ١٨٨.

وَحَتَّى تَرَى ٱلْجَوْنَ ٱلَّذي كَانَ بَادِناً
عَلَيْهِ عَوَافٍ مِنْ نُسُورٍ وَعِقْبَانِ[١]

لَهُ مُلْكُ ٱلعِرَاقِ إِلَى عُمَانٍ

يصف الزمان ودورانه:

[من الوافر]

أَبَعْدَ ٱلْحَارِثِ ٱلْمَلِكِ بْنِ عَمْرٍو
لَهُ مُلْكُ ٱلعِرَاقِ إِلَى عُمَانِ[٢]

مُجَاوَرَةً بَنِي شَمْجَى بْنِ جَرْمٍ
هَوَاناً مَا أُتِيْحَ مِنَ ٱلْهَوَانِ[٣]

وَيَمْنَعُهَا بَنُو شَمَجَى بْنِ جَرْمٍ
مَعِيْزَهُمُ، حَنَانَكَ، ذَا ٱلْحَنَانِ[٤]

(١) الجدن: الفرس الأدهم.
بادناً: سميناً.
العوافي: سباع الطير.
(٢) يأسف امرؤ القيس لما حالت إليه الأمور، بعدما كان جَدّه الحارث بن عوف يحكم العراق إلى عمان.
(٣) الهوان: الذلّ.
(٤) ورد البيت في لسان العرب ١٣/ ١٣٠ مادة «جنن».
«والعرب تقول: جنانك يا ربِّ وجَنانَيْك بمعنى واحد أي رحمتك، وقالوا: سبحانَ اللَّه وجَنانَيْه أي واسْتِرْحامه، كما قالوا: سبحان اللَّه ورَيْحَانه أي اسْتِرْزاقه؛ وقول امرئ القيس:
وَيَمْنَعُها بنو شَمجَى بْنِ جَرْم مَعِيزَهُمُ، حَنَانَكَ ذا الجَنَانِ =